

التنافس الأوروبي العثماني في ظل الأزمات الدولية

خلال القرن التاسع عشر

أ/ قفاف عبد الرحمن، جامعة عمار ثلجي الاغواط

Abstract

The European-Ottoman rivalry in the so-called Eastern issue, which represented many international crises that shook the throne of the Ottoman Empire in the wake of the rivalry and competing of European powers, embodied their ambitions in successive strikes against an Ottoman entity that was characterized by weakness and regression. Starting with the French campaign in 1801 that increased the greed of France and England in addition to the Greek crisis, which highlighted the weakness of the internal structure of the Ottoman Empire and dismantled its links and lost part of its sovereignty, which became apparent from the consequences of the consequences of the Crimean War 1853 of the imposition of European hegemony and the beginning of its control in Politics Which was clearly evident in the Balkan crisis of 1860-1873 and devoted to the Berlin Conference of 1878, which drew a new map of Europe at the expense of the Ottoman Empire, which remained in it only in accordance with the policy and serving the European interests.

مقدمة: تباينت العلاقات الأوروبية العثمانية على مر العصور و تحكمت بها المصالح والتحالفات فعلى مر أكثر من ثلاثة قرون استطاعت الدولة العثمانية فرض سيطرتها وهيمتها على مناطق الاناضول بالرغم من منافسة روسيا كما استطاعت أن تهيمن على ملاحمة المتوسط لفترة طويلة أمام كل التغيرات التي مست أوروبا و لم تكن هذه السيطرة من منطلق القوة دائما ففي الكثير من الأحيان فرضتها المصالح المشتركة و التي رسمت مسرحا للتنافس بين الدول الأوروبية و الدولة العثمانية خاصة في الفترة الأخيرة من تاريخها و التي ميزها نوع من الضعف و التقهقر فتجلى ذلك واضحا خلال القرن التاسع عشر و ما شهدته من أزمات دولية تقاربت فيها الوجهات تارة و تضاربت فيها المصالح تارة أخرى و من هذا المنطلق حاولنا التركيز على ابرز الأزمات الدولية خلال القرن التاسع عشر و التي كانت بمثابة مسرحا للتنافس الأوروبي العثماني فما هي أهم الأزمات الدولية التي شهدها البحر المتوسط خلال القرن التاسع عشر وماهي ابرز المواقف الأوروبية و العثمانية التي صورت لنا التنافس العثماني الأوروبي.

ومحاولة منا في الوقوف عند إجابات لما سبق تطرقنا إلى هذه الدراسة التي جاءت كما يلي

المسألة الشرقية في القرن 19م:

يتطابق ما نسميه بالمسألة الشرقية مع جملة من الوقائع والتي تدور بين الفترة الممتدة ما مابين 1774م و 1923م وتتلخص السمتان الأساسيتان لهاته الوقائع في التمزق التدريجي للإمبراطورية العثمانية

وتنافس الدول العظمى بهدف فرض سيطرتها ونفوذها علي أوروبا البلقانية¹، فمنذ أواخر القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر بدأ الضعف والانحلال بنهش كيان الدولة العثمانية فأخذت دويلات البلقان التي خضعت لحكمها تتطلع إلي الخلاص من الحكم التركي والى الاستقلال كما تحركت مطامع الدول الأوروبية لتقييم ممتلكات الدولة العثمانية فيما بينها². شغلت الدولة العثمانية وبصفة عامة أو المسالة الشرقية بصفة خاصة أذهان السياسة في أوروبا وذلك راجع إلي الوضع الذي ألت إليه وبذلك بدؤوا التفكير في مصير هذه الدولة ومصير أملاكها، فتنافست الدول الأوروبية للظفر بأكبر قدر ممكن من تركة الدولة، واستند التنافس أكثر مع بدايات القرن التاسع عشر³. حيث اتفق الكتاب والسياسيون علي تعريف المسالة الشرقية علي أنها: هي مسالة النزاع القائم بين بعض الدول الأوروبية وبين الدولة العثمانية بشأن البلاد الواقعة تحت سلطاتها.

فالمسالة الشرقية مدية بوجودها إلى عوامل ثلاثة تكاثفت لإبرازها علي النحو الذي ظهرت به ويمكن تلخيص تلك العوامل فيما يلي : ضعف الدولة العثمانية وظهور الحركات القومية في دويلات البلقان الخاضعة لحكم العثمانية وطمع الدول الأوروبية في ممتلكات الدولة العثمانية ومحاولتها استغلال الحركات القومية لخدمة مصالحها⁴.

وبحلول 1875 ثارت المسالة الشرقية وبدأت الاضطرابات في البلقان ضد الحكم العثماني⁵. بثورة البوسنة والهرسك وكانت روسيا تؤيد تلك الثور، إما ألمانيا فكانت تفضل سياسة التعاون مع غير عامة الدول لحل النزاع بالطرق السلمية⁶. ومن بين أهم الدول الأوروبية الأكثر اهتماما لمصير الدولة العثمانية نجد كل من بريطانيا التي أرادت تأمين طرق مواصلاتها إلي الشرق الأقصى والهند خصوصا وتأمين تجارتها معها سواء عن طريق السويس أو البحر الأحمر بالإضافة إلي روسيا القيصرية التي أرادت أن نجد لها منفذا من البحر الأسود إلي المياه الدافئة بالبحر الأبيض المتوسط، وذلك بالاستيلاء علي القسطنطينية ومضايق البوسفور والدردينل والتي أرادت كذلك أن تكون لها النفوذ الأكبر في شبه جزيرة البلقان، ونجد أيضا فرنسا من بين الدول المتنافسة علي أملاك الدولة العثمانية، حيث أخذت الأخيرة علي عاتقها ومنذ زمن مبكر حماية مصالح رعايا الدولة النصارى الكاثوليك في بلاد الشام بصفة عامة، والمارونيين علي وجه الخصوص في لبنان والتي أرادت رعاية مصالحها في المنطقة نع استغلال نفوذها في أملاك الدولة الأخرى في الساحل الشمالي الإفريقي وبالتحديد في تونس والجزائر وفيما عهدها الدول الثلاثة سالفه الذكر فان دول أخرى مثل النمسا وبروسيا اهتمت بمصير الدولة العثمانية التي بات من المتوقع هلاكها فسميت بالرجل المريض⁷.

-أزمات المسالة الشرقية في القرن التاسع عشر.

كان للمسالة الشرقية انعكاسات في مجرى التاريخ فأخذت العديد من الأزمات مشكلة بذلك خطرا علي وحدة وتماسك الدولة العثمانية بالإضافة إلى أنها عرضت مبدأ توازن القوى الأوروبية للخطر ومن أهم هذه الأزمات ما نتطرق إليه فيما يلي :

حملة نابليون على مصر (1802 _ 1798م) :

_ تعتبر هذه الأزمة من أبرز أحداث المسألة الشرقية فهذه الأزمة ظهر مداي الضعف وانحطاطا الذي ألت إليه الدولة العثمانية من ناحية وإمكانية مهاجمتها في أرضها والتغلب عليها هذا ما فتح بالصراع بين الدول الأوروبية حول مصالح ممكنة لها في الدويلات العثمانية⁸ ، فبعد هذي المماليك في موقعة أسبابة، في مراد بك إلي الصعيد بينما في إبراهيم بك إلي بلاد الشام وبهذا أصارت مصر قطرا مفتوحا إمام الفرنسيين.

_ أهم أسباب الحملة الفرنسية علي مصر

كانت حملة نابليون علي مصر هذه الحملة التي قادتها فرنسا منافسة لبريطانيا علي المصالح الاقتصادية⁹ وعلي الرغم من إن الاحتلال الفرنسي لمصر لم يدم طويلا وغير ناجح إلا انه كان حادثة هامة ومشحونة بنتائج كثيرة بالنسبة لمصر¹⁰. واهم أسباب الحملة الفرنسية علي مصر في القرن التاسع عشر ميلادي نلخصها في النقاط التالية :

_ رغبة فرنسا في ضرب المصالح لبريطانيا بعد إن فشلت عسكريا في مهاجمة بريطانيا في أوروبا، أو في مستعمراتها مثل الهند وشرق إفريقيا وغيرها .

_ أرادت فرنسا السيطرة علي مصر لخصوبة أرضها واستغلال محاصيلها الزراعية .

_ تأديب ممالك مصر لأعتداءاتهم المتكررة علي التجار الفرنسيين في البحر الأبيض المتوسط

_ رغبة الحكومة الفرنسية في إبعاد نابليون عن فرنسا لزيادة شعبية نظرا للانتصارات التي حققها في أوروبا والتي زادت من شعبية بين الفرنسيين والهدف الاسمي الذي أعلنت عنه فرنسا من خلال هذه الحملة هو حماية التجار الفرنسيين من الممالك وان الحملة ليست عملا عدائيا ضد السلطات العثمانية ولا ضد بريطانيا¹¹ .

- سيرة الحملة :

وجهت فرنسا حملة نحو مصر من جنوب فرنسا باتجاه مصر فاحتلت جزيرة مالطا للتمويه علي المواجهة لحقيقة للحملة واصلت تحديها نحو مصر دون إن يستطيع الأسطول البريطاني تحديد وجهتها الحقيقية ووصل الأسطول الفرنسي إلي الإسكندرية واحتلها وأوصلت الحملة سيرها نحو القاهرة وحصل اشتباك بين الفرنسيين والممالك فيما عرف بمعركة الأهرامات قرب القاهرة والتي انتهت بانتصار الفرنسيين علي المماليك وهكذا تمت السيطرة الفرنسية علي مصر¹² ، وفي 1798م أمرت الجمهورية الفرنسية بونايرت بالمسير إلي مصر لفتحها بغير إعلان حرب علي الدولة العثمانية وأوصلته بكتمان الأمر كي لاتصل إلي مصالح انجلترا فسعى في إحباطه مع إن القصد منه هو منع تجارة الانجليز من مصر إلي الهند والعكس كذلك ، فجهز جيش مؤلفا من 36 ألف مقاتل وعشرة آلاف بحري وغيرها من الأسلحة والسفن الحربية وتوجه بونايرت بجيشه دون علم احد ووصل الإسكندرية ثم توجه نحو القاهرة ودارت بينه وبين المماليك معركة انتهت لصالح فرنسا¹³ .

كانت بريطانيا تراقب عن كثب فرنسا وتحركاتها في البحر الأبيض المتوسط لضمان مصالحها وبهذا اكتشفت الأسطول الفرنسي في طريق عودته إلى فرنسا، فحاول القائد الفرنسي وتوجه إلى سيناء أبي قير بالغرب من الاسكندرية، وهناك أدوات معركة بمثابة ضربة قاسية تلقاها نابليون¹⁴. سعى الفرنسيون القرب من السكان المحليين من خلال منشور وزعه نابليون علي الشعب المصري بين فيه الصداقة التي تربط الفرنسيين بالسلطات العثمانية وان مجيئهم لمصر إنما هو الإنقاذ المصريين من ظلم المماليك ، ولكن الإجراءات الإنسية التي اتخذتها فرنسا وتحصيلها للضرائب بالطرق القمعية كشف الوجه الحقيقي للحملة الفرنسية علي مصر فقامت ثورة في القاهرة ضد الفرنسيين إلا انه قضو عليها¹⁵. واجه الفرنسيون في مصر إخطار عديدة منها :

- _ وجود الأسطول البريطاني في البحر الأبيض المتوسط وقطع الإمدادات من فرنسا.
- _ الخوف من ثورة المماليك الهاربين إلى الصعيد المصري.
- _ التخوف من مهاجمة الدولة العثمانية لمصر لطرد الفرنسيين وعلي اثر ذلك سار نابليون بحملة علي بلاد الشام لقطع الطريق علي الجيش العثماني¹⁶.
- نتائج الحملة الفرنسية علي مصر:
- لم تحقق تلك الحملة الأهداف العسكرية والاستراتيجية المرجوة لكنها أفرزت مجموعة من النتائج منها :
- _ جعلت من مصر محط اهتمام الأوروبيين.
- _ إظهار مدى أهمية مصر كجسر يربط الشرق والغرب.
- _ إضعاف قوة المماليك في مصر وظهور محمد علي باشا.
- _ المساهمة في اهتمام الأوروبيين في مصر بالأخص بريطانيا التي دعمت الدولة العثمانية ضد الأطماع الروسية وضد سياسة محمد علي التوسعية¹⁷.

الثورة اليونانية

قام أهل اليونان من غالبية نصارى الارثودوكس بثورة ضد الدولة العثمانية بتحريض من روسيا والنمسا فكلف السلطان محمود الثاني محمد علي باشا والي مصر بإخضاع اليونان واصدر السلطان أسرا يعين محمد علي باشا واليا علي شبه جزيرة المروة من بلاد اليونان وجزيرة كريت حيث تعتبر هاتان المنطقتان مركز الثورة اليونانية¹⁸.

وسارت جيوش محمد علي باشا يحدا من الإسكندرية بقيادة ابنه إبراهيم باشا وانطلق إلي شبه جزيرة مورة وسيطر عليها واستطاع إبراهيم باشا أن يحرر النصر لفتح مدينة نافارين عام 1240هـ _ 1840م وان يدخل العثمانيون أسيا عام (1826_1241هـ) ثم تدخلت الدول الأوروبية بحجة حماية اليونان بشكل ظاهر وحقد صليبي واضح ، وعقد صلح مع الدولة العثمانية عام 1242هـ-1826م غير أن القتال مالمبث أن تجدد بسبب رفض الدولة العثمانية تدخل هذه الدول في شؤونها الداخلية¹⁹ كما طلبت الدول الأوروبية من إبراهيم باشا التوقف عن القتال لكنه قابل طلبها بالرفض فاجتمعت أساطيل الدول

الأوروبية في ميناء نافرين وقضت علي الأسطول العثماني والمصري معا فأمر محمد علي انه إبراهيم باشا بالانسحاب من اليونان بجنده ورفضت الدولة كل قرارات الدول الأجنبية والخاصة بمنح اليونان استقلاله الذاتي ثم الاستقلال التام²⁰ وقد واجهت الدولة العثمانية تحديا كبيرا من الدول الأجنبية خاصة روسيا التي أعلنت الحرب عليها واحتلت البغدان والافلاق وعينت حكما من قبلها واحتلت قارص وادرنة من الأناضول وكانت الدول الأوروبية تخشي من روسيا أن تميل لاستانبول لما في ذلك من مصالحها الخاصة فتصدت لروسيا ووقفت في وجهها وعقدت معاهدة أدرة عام 1829 م ومن أهم موادها إعادة الافلاق والبغدان والبلغار والبلقان وقارص وارضروم إلى الدولة العثمانية ويعد نهر بروث الحد الفاصل بين الدولتين وبهذا تكون الملاحة في نهر الدانوب من حق الدولتين بالإضافة الحرية الملاحة الروسية في البحر الأسود وعودة الامتيازات القنصلية²¹.

_ كانت ثورة اليونان التي نشبت في عام 1821 م في شبه جزيرة المورة قد اتخذت لها طابع ديني وقومي ومن بين أهم الأسباب هذه الثورة نذكر :

_ رغبة مسيحي اليونان في التحرر وللاستقلال من الحكم العثماني والإسلامي

_ الاستياء من ظلم وقسوة الحكام اليونانيين ومن الضرائب الباطنية المفروضة عليهم والجباية القاسية _ ازدياد الوعي القومي لدى اليونانيين أدى الى ظهور جمعيات قومية ساعدت في انتشار الوعي والثقافة بين اليونانيين وتأثرهم بالثورة الفرنسية بالإضافة إلى دعم روسيا المادي والمعنوي لليونانيين وتحريضهم للثورة ضد الدولة العثمانية²².

_ سير الثورة :

استغل اليونانيون ضعف الدولة العثمانية فثاروا ضد حكمها وحقق الثوار مكاسب سرية في بداية الثورة بحيث امتدت ثورتهم إلى معظم الجزر اليونانية²³. وبسبب ضعف الدولة العثمانية من الناحية العسكرية طلب السلطان العثماني محمود الثاني من والي محمد علي المساعدة لإخماد الثورة فاستجاب هذه الأخيرة له مقابل منحه جزيرة كريت ، وجهز محمد علي جيشه بقيادة ابنه إبراهيم متوجهين لأنها ثورة اليونان وبحلول 1824 نزلت القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا في الجزر اليونانية وتقدمت بسرعة داخل اليونان مستخدمة أساليب قمعية لإخماد الثورة ونجح في ذلك.

مواقف الدول الأوروبية من ثورة اليونان:

1- بريطانيا : أبدوا تعاطفهم مع اليونانيين وأيدوا المطالب اليونانية ، إلا إن بريطانيا تخوفت من إن تستغل ، والثورة التدخل في شؤون الدولة العثمانية فعلى اثر ذلك عملت بريطانيا علي سحب القوات المصرية من اليونان .

2- روسيا : أيدت روسيا الثورة اليونانية وقدمت المساعدات العسكرية والمادية لليونانيين خلال الثورة ، وبعد إخمادها علي يد إبراهيم باشا قامت روسيا بإعلان الحرب علي الدولة العثمانية وحليفها محمد علي²⁴ .

3- فرنسا : كان موقفها غامض من الثورة اليونانية وكانت تخشي من روسيا أن تستغل الثورة لتحقيق مطامعها في اليونان .

وعلي أثر ذلك تعاونت كل من روسيا وفرنسا من أجل تهدئة الأوضاع وإخراج قوات محمد علي من اليونان وفي 1827م أنذرت الدول الثلاث السلطات العثمانية بسحب قواته من اليونان لكنه قابلهم بالفرض ، وفشلت بريطانيا في إقناع محمد علي على سحب قواته من اليونان ، وبذلك هاجمت الدول الأوروبية الأسطول العثماني والمصري ووقعت بينهما معركة نفارين و البحرية بين الأسطول العثماني والمصر بعد ذلك وافق محمد علي على سحب قوات من اليونان وبذلك انتهت الحرب بين الدول الأوروبية والدولة العثمانية باتفاقية عرفت باتفاقية أدرنة عام 1829م ونصت علي مايلي :

_ اعتراف السلطات العثمانية بالاستقلال الذاتي لليونان.

_ سحب القوات العثمانية والمصرية من اليونان .

_ عدم تدخل الدول الأوروبية في شؤون الدولة العثمانية .

نتائج وأثار ثورة اليونان :

_ أظهرت الثورة مدى الضعف والانحطاط الذي ألت إليه العثمانية التي خسرت سلطاتها الفعلية علي اليونان.

_ خسارة محمد علي الأسطول البحري وضياع الأموال ومقتل عدد كبير من جنوده ومن جهة أخرى أظهرت الثورة قوة محمد علي مقابل ضعف الدولة

_ ساهمت الثورة في قيام محمد علي بحملة عسكرية علي بلاد الشام وتوسع مناطق نفوذه علي حساب الدولة العثمانية .

حرب القرم 1853_1856 م .

سميت بهذا الاسم لوقوعها في شبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود حيث نشبت هذه الحرب بين الدولة العثمانية بمساعدة فرنسا وبريطانيا ضد روسيا حيث تعتبر حرب القرم من أهم أزمات المسالة الشرقية بحيث بلغت المسالة الشرقية ذروتها في حرب القرم إضافة إلي ذلك إن الصراع في هذه الحرب أصبح صراع أوروبي ووصل إلي حد المواجهة العسكرية بين الدول الأوروبية خاصة بين روسيا وبريطانيا²⁵ .

حيث أن المنافسات كانت قائمة بين الارثودكس والكاثوليك بشأن التملك وإقامة شعائر دينهم في الكنائس المعتبرة عندهم في مدينة اورشليم معهد الديانة المسيحية حيث كانت فرنسا حائزة علي امتيازاتها لحماية فسوس الكاثوليك فسعت روسيا لتجريد الكاثوليك من هذه الامتياز ومنحه للارثودكس لتمكن من بسط سياستها ونشر نفوذها بين رعايا الدولة العثمانية²⁶ فشكلت الدولة العثمانية لجنة من رجال الكنائس من

مختلف المذاهب فاقروا بحق فرنسا فقررت روسيا الحرب ومحاولة إعادة معاهدة خنكارسلكسي لكن السلطان رفض ذلك فحاولت روسيا الاستعانة بانجلترا وفرنسا لكنهما لم توافقا علي العرض الروسي بالإضافة إلي رفض السلطان العثماني حق حماية روسيا للنصارى المقيمين في الدولة العثمانية وأعاد السلطان رشيد باشا للصدارة العظمى وهو من المعادين لروسيا²⁷.

كما حلت انجلترا محل روسيا في النفوذ لدى الباب العالي وصارت وحدها صاحبة الكلمة المسموعة في الأزمة الأخيرة عند رجال الدولة و توصلت إلي إبطال معاهدة خنكارسلكسي مما جعل روسيا تقوم بإرسال جيوشها إلي قلب الدولة العثمانية التي حلت انجلترا محلها²⁸ في حين هددت روسيا باحتلال الأفلاق والبغدان وتحركت الجيوش الروسية وتدخلت الدول الأوروبية ، النمسا بروسيا وانجلترا وفرنسا غير إن وساطة هاته الدول باءت بالفشل²⁹ ولإيجاد ذريعة لايقع المشاكل بين روسيا والدولة العثمانية أوغر القيصر "نيفو" الأول إلي "دانيلو" الذي كان حاكما علي الجبل الأسود وتابعاً للدولة العثمانية بان يرفع راية العصيان في وجه الدولة وفعلاً حرص هذا الأخير للقيام في وجه الدولة العثمانية فلبوا نداءه وثاروا جميعاً³⁰. أما فرنسا فكانت منشغلة بحروبها في الثورة تم الحروب النابليونية لمدة 22 سنة تقريباً وبهذا ضعفت الحكومات الملوكية وبعد إن عين نابليون الثالث³¹ رئيساً للجمهورية الفرنسية الثانية عين الباب العالي لجنة من عدة أعضاء مختلفي المذهب لفصلها بمقتضي المعاهدات القديمة وبعد عدة اجتماعات للجنة قررت أولوية الكاثوليك في امتلاك عدة كنائس لكن روسيا عرضت بشدة ذلك القرار من الاتفاقية المؤرخة في 06 فبراير 1852 وهددت الباب العالي بالحرب³². فاتخذت روسيا ضد الخلافة ذريعة لتنفيذ وصية بطرس الأكبر وأرسلت منشيكوف من سان بطرسبورج إلي الاستانة بصفة سفير غير اعتيادي للمخاطبة في مسألة الأماكن المقدسة ظاهراً، حيث كان القصد من إرساله إيجاد أسباب الشقاق للتوصل لإعلان الحروب بحجة مقبولة لدى الدول³³. ومن جهة أخرى خابر نابليون الثالث حكومة الملكة فيكتوريا³⁴. ضرورة الاتحاد مع الباب العالي لتنفيذ العهد السابقة المتعلقة بالأماكن المقدسة³⁵.

وفي أواخر أكتوبر 1853 أرسلت كل من انجلترا وفرنسا قطعاً من أسطولها إلي مياه الدردنيل لتدعيم موقف تركيا ولحماية الأستانة لكن هذا العمل لم يحل بين الأسطول الروسي وبين القضاء علي الأسطول التركي في البحر الأسود فتارت كل من انجلترا وفرنسا وأعلنت الحرب علي روسيا في مارس 1854 و بدأ التفكير في القيام بعمل عسكري لوقف اعتداء روسيا علي تركيا في حين قد استولت القوات الروسية علي الأفلاق والبغدان (مولدافيا وولاشيا) فقد خشيت روسيا إن يؤدي بقاؤها فيها إلي إغضاب النمسا ودخولها إلي مساندة فرنسا وانجلترا وباشرت بإخراج قواتها منها فعملت النمسا علي إرسال جزء من قواتها للمحافظة عليها³⁶.

وكان من الممكن أن يؤدي أصحاب روسيا من الولاياتين إلي انتهاء الحرب لكن انجلترا وفرنسا وجدتا أن انتهاء الحرب علي هذه الحال ودون القضاء علي التهديد الروسي بصفة نهائية فلا بد إذا من استمرار الحرب.

أما عن المفاوضات التي دارت بينها النمسا وفرنسا وفي ذلك الوقت فحددت الأهداف المقصودة من هذه الحرب في النقاط التالية :

أولاً : وضع ضمان أوربي لولايي الافلاق والبعدان ، محل حماية روسيا لهما

ثانياً : تقرير حرية الملاحة في نهر الدانوب

ثالثاً : إعادة النظر في اتفاقية المضائق 1841 لصالح توازن القوى في أوربا

رابعاً : تنازل روسيا عن ادعاءاتها حق حماية الرعايا المسيحيين في الدولة العثمانية³⁷.

بحيث وافق الروس علي النقاط المذكورة سابقا باستثناء النقطة الثالثة فيما يخص إعادة النظر اتفاقية

المضائق 1841 لصالح توازن القوى في أوربا ومن أجل هذه أقاست الحرب إذا رأى الحلفاء تفوق قوة روسيا

البحرية في البحر الأسود له أثر دون ريب علي تركيا وهذا بدوره سيؤثر علي التوازن الدولي في أوربا³⁸.

حيث اختارت كل انجلترا وفرنسا وتركيا ميناء سباستبول الروسي ليكون مركزا للعمليات الحربية ضد

روسيا للقضاء علي قوتها البحرية³⁹.

_ اشترطت فرنسا لمواصلة الحرب في ذلك الوقت دخول ، النمسا إلي جانبهم في الحرب فتهديد النمسا

لروسيا حربيا سيجبرها علي وضع قوات حربية كبيرة علي حدودها مما سيؤثر تأثير خطرا على الحرب في

شبه جزيرة القرم⁴⁰

ومع إن النمسا كانت تميل إلي الضغط علي روسيا لقبول النقاط الأربع ، وبذلك رأت النمسا عقد معاهدة

مع انجلترا وفرنسا تنص علي انه إذا لم توافق روسيا علي النقاط الأربع وتوقيع الصلح مع الحلفاء قبل مدة

معينة فعلى الدول الحليفة التشاور فيما بينها لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بتحقيق ماتصبو إليه ، وما إن

وقعت النمسا هذه المعاهدة أعلنت روسيا في 29 ديسمبر 1854 م قبولها للنقاط الأربع المشار إليها⁴¹.

كما حدث خلاف عظيم بين روسيا وفرنسا بشاه الأماكن المقدسة في الشام وذلك أن لفرنسا بمقتضي

معاهدات قديمة وحقوق ثانية حماية معنوية في الكاثوليك في الشرق وقد توصلت بهذه الحماية إلي جعل

مفاتيح كنائس "اورشليم" بأيدي الكاثوليكين

فإرادة روسيا دفع كلمة الدين الارثوذكس و تسليم مفاتيح الكنائس باووشيلم إلي القسيس الارثوذكسي

ليزداد نفوذها في الشرق مما يخالف مصالح فرنسا في الشرق ويتضارب مع مصالحها. وبعد تقرير إعطاء

حق فرنسا حماية الكاثوليك ومنحهم عدة كنائس وأديرة قررت روسيا مهاجمة الدولة العثمانية لأنها

أحلت فرنسا محلها⁴².

واستمرت المعركة الحربية بين روسيا والدولة العثمانية ولم تجد محاولات الصلح⁴³ وكان موقف فرنسا

وانجلترا ضد روسيا خوفا علي مصالحها لأحبا للمسلمين⁴⁴ و لكي لا تتمكن الأخيرة من ضم إي جزء من

الدولة العثمانية إليها واستمرت روسيا في حربها الا ان إن المساعدات والإمدادات التي وصلت للعثمانية

جعلت روسيا تنسحب من المناطق التي احتلتها ونقلت الدول المتحالفة الحرب إلي ارض روسيا وأخيرا تم

عقد معاهدة باريس عام 1272هـ / 1856م⁴⁵ حيث تم عقد مؤتمر باريس في 25 فبراير 1856 وهو مؤتمر

الصلح وتم عقده في باريس لتوقيع الشروط التي اتفق عليها فيما ينص أولا احترام استقلال تركيا وعدم المساس بممتلكاتها وتعتبر معاهدة باريس أول معاهدة من نوعها توقع عليها الدولة العثمانية لا تنقص من ممتلكاتها أو تعمل علي إضعاف قدرتها الدفاعية بل أعطتها هذه المعاهدة مركزا اكبر من ذي قبل وبها ضمنت وقوف الدول الأوروبية إلي جانبها ضد روسيا واعترفت باستقلالها في إدارة شؤونها الداخلية.

ثانيا : إعلان حيادية البحر الأسود وهذه الحيادية كانت في الواقع حقيقة مسلم بها في ذلك الوقت فلم يعد لروسيا قوة بحرية في البحر الأسود تجعلها تعارض بشكل جدي في موضوع جدي في موضوع الحياد⁴⁶.

وبتسليم روسيا بهذا المبدأ لم تعد تهتم كثيرا بالشؤون الأوروبية وذلك لفترة خمسة عشرة عاما وأهملتها إهمالا يكاد يكون تاما وذلك لشعورها بالحرارة من موقف الدولتين الكبيرتين فرنسا وانجلترا منها.

ثالثا : تعتمد الدولة العثمانية بتحسين أحوال رعاياها المسيحيين في البلقان علي إلا تتدخل اية دولة خارجية في شؤونها الداخلية.

رابعا : الاعتراف بحرية الملاحة في نهر الدانوب وكان هذا نجاحا للنمسا فاستطاعت إبعاد الخطر الروسي عن مصب نهر الدانوب لكنها بهذا خسرت صداقة روسيا للأبد.

خامسا : الاعتراف بحق الدولة العثمانية في إغلاق مضيق البوسفور والدردنيل في وجه المراكز الحربية لسائر الدول.

سادسا : تعديل الحدود بين روسيا وتركيا

سابعا: في حالة حدوث خلاف بين الدولة العثمانية وغيرها من الدول يجب قبول مبدأ التحكيم لفض الخلاف قبل إن يستفحل خطره ويؤدي إلي نشوب حرب أوروبية⁴⁷

وان تبقى الافلاق والبغدان تحت حماية الدولة العثمانية⁴⁸.

أسباب حرب القرم :

اختلف المؤرخون حول أسباب حرب القرم فمنهم من يرى انها ترجع للخلافات الدينية مابين فرنسا حول الأماكن المقدسة في فلسطين ، في حين يرى البعض إلا أن النزاع الديني المذكور ماهو إلا سبب مباشر للحرب، إما السبب الغير المباشر يمكن في المصالح الاقتصادية (تجارة) السياسية والإستراتيجية المتضاربة بين الدول الأوروبية ، فهذه لاتقل أهمية عن الأسباب الدينية حيث اعتقدت روسيا إن الوقت قد حان لتقسيم الدولة العثمانية خصوصا بعدما أخدمت الثورات في أوربا وذلك لتأمين مصالحها غير إن ذلك كان يتعارض مع سياسة الدول الأوروبية⁴⁹. لكن السبب الحقيقي لهذه الحرب ما هو إلا نتائج النزاعات الدينية والمصالح الاقتصادية التي ادت إلي حدوث حرب القرم⁵⁰.

-الأسباب السياسية والدينية :

_ الأسباب السياسية :

روسيا : كانت تخفي مطامعها السياسية تحت عطاء الدين ، وذلك كخطة أولى للسيطرة علي المضائق من خلال الامتيازات التي حصلت عليها في معاهدة كوجك قينارجي، فالحصول على القدس وماجاورها ،

سيعيق بريطانيا من الوصول للمستعمرات الهندية⁵¹. ولا يمكنها تحقيق كل ذلك إلا بقضائها علي الدولة العثمانية ومن ثمة الحصول علي المكاسب الإقليمية المترتبة علي هذا الانهيار بالإضافة إلى الكره الشديد الذي يحمله نيكولا الأول لسياسة فرنسا ، بسبب أفكارها الثورية حيث رفض الاعتراف بنابليون الثالث كإمبراطور على فرنسا كما حرص علي عدم وصول تلك الأفكار الثورية لبلاده⁵².

بريطانيا : كانت تسعى إلي حماية طريق الهند ومن ثم السيطرة علي البحر الأحمر الذي يفصل البحر المتوسط علي المحيط الهندي⁵³ فكانت هذه الطرق بمثابة شريان الحياة لبريطانيا . فرنسا : فقدت الكثير من نفوذها في المشرق خاصة بعد الأزمة السورية فحاولت استرجاعه هيمنتها العالمية التي فقدتها اثر حروب نابليون الأول (1815_1800م).

النمسا : كانت تتطلع إلي كسب نفوذها في البلقان والبحر الأسود والممرات لذلك عملت علي الدفاع عن مصالحها ضد الهيمنة الروسية بسبب ماحصلت عليه من خلال معاهدة كوجك فينارجي⁵⁴. فالكل بدا متخوفا من التوسع الروسي فعملت تلك الدول علي حماية الدولة العثمانية .

الدولة العثمانية : كانت متخوفة من روسيا لأنها كانت مستهدفة ، ولكنها ليس بالدرجة التي كانت عليه الدول الأوروبية لأنها كانت مدركة تماما إن الخطر الروسي لايمسها هي لوحدها ، فالكل أصبح في كفة واحدة لذا سوف نجدها أنها تتعامل مع كل طرف علي حدا فقد كانت محتاجة لضبط أمورها .

-الأسباب الدينية : تعتبر الأزمة البلقانية من أهم الأسباب الغير مباشرة لتفجير حرب القرم فبسببها زاد الصراع الروسي العثماني ، حيث مثلت مسألة الدين السبب الجوهري في إثارة الصراع بينهم⁵⁵. وذلك بتأليب روسيا لسكان جبل الأسود ضد الدولة العثمانية، بالفعل نجحت روسيا في ذلك فقامت فوضي عارمة ، فما كان علي الدولة العثمانية ، سوى إرسال جيش بقيادة عمر باشا الذي الحق بهم هزيمة نكراء ، فقد أحدثت هذه الثورة هلعاً كبيراً في أوروبا مما أدى إلي تدخل النمسا ، حيث فاقترحت علي الباب العالي بالاعتدال عن انتقامه وذلك بالعفو عن الثوار⁵⁶

لكي لا تترك الدولة العثمانية حجة لروسيا بخلق مشاكل جديدة في المنطقة ، فكل هذا زاد من حقد القيصر الروسي علي الدولة العثمانية⁵⁷.

-الأسباب الاقتصادية :

روسيا : كانت تجارة القمح تمثل أهم نشاط تجاري لها حيث كانت تتوفر علي إنتاج وفير يتم تصدير جزء كبير منه لبريطانيا مما أدى إلي تطور ونمو تجارتها، غير إن هناك عوامل أعاققت تجارتها من أهمها دخول الدولة العثمانية بولايتها الدانوبيتين (الافلاق والبعغان رومانيا حاليا) السوق الدولية لتجارة الحبوب كمنافس لروسيا فبدا التحول التدريجي لبريطانيا من الأسواق الروسي إلي الأسواق العثمانية هذا ما أزعج روسيا كثيراً وزاد من حقد عليها خاصة إذا علمنا إن طريق البحر المتوسط لبريطانيا من الأسواق العثمانية إمام المنتجات البريطانية وعليه أصبحت الدولة العثمانية تحتل الصدارة لإستيرادها المواد الخام الصناعية من بريطانيا⁵⁸.

كما يرى بعض المؤرخين إن هذا التحول التجاري لبريطانيا لدواعي سياسة اقتصادية انه كان المحافظة علي الدولة العثمانية والدليل علي ذلك فقبيل حرب القرم بقليل سنة 1265هـ/ 1849م، عبر وزير خارجية بريطانيا عبر المجلس العموم للدفاع والوقوف إلي جانب الدولة العثمانية ضد روسيا حيث راح يقول: "...إذا كان استقلال تركيا من الناحية السياسية ذات أهمية كبيرة لنا فإنه لا تقل عن أهمية بريطانيا من الناحية التجارية.." كما قال الشعراء البريطانيون ("...إن انهيار تركيا قد يكون مؤثرا للقضاء علي التجارة البريطانية ...")⁵⁹.

هذا أيضا ينطبق علي النمسا التي كانت تهتم بتجاريتها مع الدولة العثمانية في استيراد القمح. وأصبحت روسيا تعرقل هذه التجارة في نهر الدانوب إذ بعد هذا الأخير الشريان الرئيسي للتجارة النمساوية، لذا كان لزاما عليها إبعاد روسيا من هذا الشريان الحيوي⁶⁰ السبب المباشر لاندلاع حرب القرم :

لقد شكلت الاعتبارات الاقتصادية والإستراتيجية الأرضية الخصبة للنزاعات بين الدول الكبرى والدولة العثمانية ، فكان بإمكان هذان الاعتباران تفجير حرب كبرى لكن في حقيقة الأمر الذي فجر الحرب كان سببه تافها في نظر الدولة العثمانية⁶¹. ولكنها في حقيقة الأمر قدمته هي بيدها إلي الدول الأوروبية⁶². علي طبق من ذهب وذلك لضربها في الصميم ونعني بذلك منطقة الأماكن المقدسة في فلسطين بكنيسة القيامة الموجودة بيت المقدس، التي كانت ملكا مشتركا بين جميع الطوائف النصرانية ، ففي صيف عام 1847/1236م فقدت في كنيسة المهد بيت لحم نجمة مزخرفة بالنقوش الفضية فذهب الكاثوليك يهتمون الارثوذكس بسرقتها فراحت فرنسا تحتج عن ذلك طالبة من الباب العالي بان يفضل في هذا الخلاف بمقتض الحقوق والمعاهدات ، فعين الباب العالي لجنة تحقيق مكونة من نصارى الكاثوليك والارثوذكس لكي تحقق في هذا النزاع لكنها لم تصل إلي إيه نتيجة⁶³.

وفي سنة 1237هـ/ 1848م تم انتخاب نابليون الثالث كرئيس للجمهورية الفرنسية الثانية، حيث عمل علي إعادة إحياء الإمبراطورية مقتربا من الحزب الكاثوليكي لكي يعمل علي تأييده في الحكم ، كما اتخذ من مسالة الأراضي المقدسة مسالة كرامة للرجوع فيها ، ففي سنة 1239هـ/ 1850م قدمت الحكومة الفرنسية إلي الباب العالي مذكرة تبين فيها مدى تمسك فرنسا بهذه الامتيازات وفق معاهدة 1135هـ/ 1740م وان هذه الامتيازات لا تلغها امتيازات منحت لغير فرنسا بعد هذا التاريخ لكن الدولة العثمانية كانت مدركة تماما بان القضية ليست مجرد حقوق ولكنها قضية سياسية⁶⁴.

مما اثار غضب روسيا التي راحت تطالب هي الأخرى بحقوقها ، إذا كانت هذه الأخيرة ذريعة مناسبة لخلق اضطرابات بينها وبين الدولة العثمانية⁶⁵. فقد حاول الباب العالي لتماطل وعدم الحسم في الأمر لمصلحة فريق أخرى خاصة إذا علمنا إن كل دولة كانت لها القدرة علي استعمال القوة لغرض احترام مواقفها وتدعيم نفوذها ومكانتها ، وعليه انتهى عام 1241هـ/ 1852م ولم تصل الدولة العثمانية إلي حل نهائي للقضية⁶⁶.

نتائج حرب القرم:

من أهم نتائج حرب القرم هو إصدار السلطان عبد المجيد في 18 فبراير 1856م الخط الهمايوني وذلك بعد انتصار الدولة العثمانية وحلفاءها إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وعلي روسيا في حرب القرم (1853-1856م) وذلك قبل أسبوع من انعقاد مؤتمر باريس جاء القانون هدية من جانب الدولة العثمانية للدول الأوروبية التي وفقت الي جانبها في هذه الحربية ضد الإطماع الروسية⁶⁷. إن أكثر موارد في الخط الشريف لهمايون هذا الخط يتعلق بحقوق الطوائف غير الإسلامية ومصالحها ، وتأكيد للعود والمبادئ التي نص علي معاملة جميع تبعة (رعايا) الدولة معاملة متساوية مهما كانت مذاهبهم وأديانهم والإبقاء علي كافة الامتيازات الممنوحة للطوائف المسيحية وكافة الملل غير الإسلامية و قبول جميع رعايا السلطان في الوظائف والمناصب الحكومية والمدارس الملكية والعسكرية دون فرق ولا تميز وسمح للطوائف بإنشاء مدارس الملكية وتعليم العلوم والفنون والصناعة وضمن حرية هذه المدارس التعليمية ، ومن القضايا المهمة التي نص عليها نذكر إنشاء محاكم مختلطة للفصل في القضايا بين المسلمين وغير المسلمين ماعدا الدعاوى الخاصة بالأحوال الشخصية والإرث فتحال علي محاكم الشرعية بالنسبة للمسلمين والي المحاكم الطائفية بالنسبة لغير المسلمين وأمر بإصلاح السجون ووضع نظاما للشرطة وحرمة التعذيب ، وأوحي بتكوين مجالس للولايات، منع أيضا الموظفين إن يشتركوا في التزام الضرائب وأكد حق الدولة في تجنيد غير المسلمين، مع إعطائهم فرصة دفع البديل العسكرية، كما نص أيضا علي وضع ميزانية مفضلة للدولة ومعاينة الرشوة والاختلاس علي إنشاء البنوك وإصلاح النقد لتوفير رؤوس أموال تستخدم في تنمية الزراعة والصناعة وكان اخطر بند في المنشور ذلك الذي ينص علي السماح للأجانب بالتملك العقاري في الدول العثمانية وفق شروط معينة وحتم بالقول إن تحقيق هذه الأغراض يكون عن طريق الانتفاع بعلوم أوربة وفنونها ورؤوس أموالها⁶⁸.

كما صدرت قوانين مكملية لتنفيذ موارد في المنشور الهمايوني كان أهمها قانون الأراضي عام 1858م الذي هدف إلي تطوير الريف العثماني ليكون في مثال الريف الفرنسي، وإلا إن هذا القانون كانت له نتائج مدمرة اتته اسئ تطبيقه ولم ينفذ عمليا إلا علي نطاق ضيق فقد مكن هذا القانون الأغنياء وأصحاب النفوذ من الاستيلاء والاستحواذ علي مساحات واسعة من لأراضي بطرق ملتوية ، كالرشوة والتحايل، بينما كان الفلاح عاجزا علي توفير المال اللازم الذي يدفعه كقيمة لتصرفه بالأرض و وهذا الأمر إن دل علي شي، فإنما يدل إن رجال الإصلاح كانوا غير متبصرين بقوانين إصلاح الأرض مستلهمين بالنظم الفرنسية فقط دون فهم وإدراك للوضع القائم ونتائج المحتملة⁶⁹.

-نجاح بريطانيا في الحفاظ علي ميزان القوى في القارة الأوروبية ومنع تقسيم الدولة العثمانية والوقوف في وجه الإطماع الروسية

-نجاح فرنسا في المحافظة علي حقها في حماية المسيحيين في الشرق وامتلاك مفاتيح الأماكن المقدسة.

-أظهرت حرب القرم مدى ضعف الدولة العثمانية.

-موقف ورد فعل الدول الأوروبية من الحرب :

فرنسا : رأت انه من واجبها التدخل في الحرب والوقوف إلى جانب الدولة العثمانية ضد روسيا وتمثل موقفها بحسب رأي زعيمها نابليون لإرضاء الحزب الكاثوليك لانه دعمه في حكمه فعلى اثر ذلك قامت الأساطير البريطانية والفرنسية باجتياز مضيق الدردنيل و اعلنت عن وقوفها بجانب الدولة العثمانية في الحرب.

بريطانيا :رأت إن التوسع الروسي يهدد مصالحها في الدولة العثمانية ويهدد الطريق إلى الهند فقد كان موقف رئيس الوزراء البريطاني والصحافة مؤيد لتدخل بريطانيا ضد روسيا والوقوف إلى جانب الدولة العثمانية.

النمسا : كان موقفها من حرب القرم حيادي ولم تتدخل ولكنها كانت تراقب الإحداث⁷⁰.

كما إن النمسا لم تكن ترغب في مساعدة روسيا لكنها من جهة أخرى لاترغب أيضا في مساعدة الدول العربية بل ترغب في ان يكون لها مكان بينهم وتبدل قصار جهدها في عدم امتداد أملاك روسيا وان تجعل لنفسها سيادة علي جميع البلاد الواقعة علي ضفاف الدردنيل وبهذا تحولت حرب الفرع إلى حرب أوروبية .وكان ضمان حياد النمسا والمجر من أهم أولويات السياسة الروسية⁷¹.

كما إن دخول بريطانيا وفرنسا الحرب إلى جانب الدولة العثمانية كان يهدف لمنع روسيا تنفيذ سياستها الراسية لاحتلال الدولة العثمانية وكانت النمسا تحاول التوسط والضغط علي روسيا والانسحاب من المناطق التي وقعت تحت سلطتها من الدولة العثمانية إلا إن مساعيها باءت بالفشل وبهذا استمر القتال بين روسيا والحلفاء حتى 1855 وبعد تدمير أسطولها وافقت روسيا علي إنهاء الحرب ويرجع قرارها هذا إلى سبب رئيس :

- تكبد روسيا خسائر بشرية ومالية كبيرة

- موت القيصر نيقولا الاول .

_ الثورة البلقانية 1875:

عقب انتهاء حرب القرم ازدادت انتفاضات شعوب البلقان للتخلص من الحكم العثماني رغم قيام الدولة العثمانية بمجموعة من الإصلاحات في فترة ما بين 1273-1288هـ/ 1871- 1856م علي يد كبار المصلحين العثمانية من أهمهم مدحت باشا.الذي قام بانجاز الكثير من المشاريع الإنمائية في بلغاريا⁷². إلا أن هذا لم يمنع من حدوث ثورات بسبب تداخل عوامل أخرى كعامل الدين وسياسة التعسف والتسلط العثماني إثناء جباية الضرائب.

أما السبب الرئيسي يتمثل في نمو الوعي القومي بتأييد من روسيا خاصة بعد حصول ضريبيا علي استقلالها وعلي هذا الأساس نشأت في البلقان تيارات قومية مناهضة للحكم العثماني تتمثل في الجامعة الصربية والسلافية فلقد أيدت الجامعة السلافية⁷³. من طرف النمسا خاصة بعد انهزمنا علي يد بروسيا 1866/1283 م استعدت مع روسيا للمطالبة بحق شعوب البلقان في الإصلاحات .

لكن التأيد الكبير كان من طرف روسيا وقد بدأت أولى الاضطرابات البلقانية في البوسنة والهرسك سنة 1875 ضد الحكم العثماني⁷⁴. بوجود عاملين :

العامل الأول :

المسألة الزراعية :

في السبعينات القرن 13 هـ _ 19 م كانت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية متردية بسبب تعرض الفلاحين متاجرين للضرائب الإقطاعيين المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام الاسترجاع أراضيهم إضافة إلى زيادة الرسوم والضرائب مما أدى إلى سوء المحصول لسنة 1290 هـ _ 1873 م وحدوث المجاعة 1291 هـ _ 1874 م مما أدى إلى منافسة السلع الأجنبية المتوازن للمنتوج المحلي.

العامل الثاني :

حركة الجامعة السلافية : أثناء زيارة الإمبراطور فرانس جوزيف⁷⁵ سنة 1292 هـ / 1875 م قام بإعطاء أهالي البوسنة والهرسك الانطباع بان النمسا والمجر ستقوم بضم المناطق السلافية مما يؤدي إلى قيام مملكة ثلاثية لتندفع الثورة في الهرسك في جمادي الأخيرة 1292 هـ جويلية 1875 بسبب جباية الضرائب حيث تلقى الثائرون مساعدات من قبل الصرب لتمتد إلى كل من البوسنة وبلغاريا حيث طالبوا بالانفصال الإداري عن الدولة العثمانية ، وقدموا عريضة الي الباب العالي تتضمن العمل علي تخفيض الضرائب ، وعدم فرض الضرائب جديدة في المستقبل وتشكيل قوة منهم لحفظ الأمن والمساواة في إقامة الشعائر الدينية ، كما الحوا علي ضرورة توزيع ثلث ممتلكات الملاكين علي السكان⁷⁶.

وقد تظاهرت روسيا والنمسا بحل الازمة دبلوماسيا ، فقام سفراء دول عصبه الأباطرة الثلاثة تحت الباب العالي إصدار إصلاحات لتحسين أحوال المسيحيين في البوسنة والهرسك والعفو عن الثوار فقد استطاع اغناتيف من إقناع السلطان عبد العزيز⁷⁷ علي القيام بإصلاحات فتم إصدار فرمان في 15 ذي القعدة 1292 هـ / 12 ديسمبر 1875⁷⁸. يتضمن :

- تخفيض الضرائب عن السكان البوسنة والهرسك.

_ منحهم الحرية الدينية

_ تشكيل لجنة للمراقبة ومجلس استشاري منتخب.

_ بالرغم من إعلانه عن إصلاح في القضاء ونظام الضرائب وغير ذلك إلا إن الثورة ظلت مستمرة حيث أعلن كل من الجبل الأسود والضرب عن استعدادهم لمساعدتهما ولإيجاد حل لهذه المسألة قام كل من بسمارك ووزير خارجية روسيا والكونت اندراسي وزير خارجية النمسا بالاجتماع في برلين 1293 ماي 1876 دون اشتراك بريطانيا فقد لقيت موافقة من طرف ايطاليا وفرنسا وتقدما إلي الحكومة العثمانية بمذكرة برلين و أهم ما جاء فيها :

-الإعفاء عن الثوار وإلغاء ضريبة العشر لمدة عام والضرائب الأخرى لمدة عامين

- التعهد ببناء المنازل والكنائس إلي هدمت خلال الثورة

لكن السكان رفضوا هذه الإجراءات وأصروا علي جلاء الجيوش العثمانية عن أراضيهم وان تدفع الحكومة لهم تعويضات عن الخسائر التي تكبروها⁷⁹.

وقد زادت حدة الثورة في هذه الفترة خاصة بعد قيام بلغاريا بتدبير منحة للموظفين المحليين ليلها انضمام الصرب والجبل الأسود إلي الحرب حيث قامتا بتوقيع تحالفات بينهما في 1292هـ/26ماي 1876 تنص علي تقسيم الأراضي في الإقليم في حال الانتصار علي العثمانيين حيث استعانت الحرب بالضابط الروسي نشر فيلق لقيادة الجيش ولما علمت الدولة العثمانية بهذه الاستعدادات كان الرد فعل الباب العالي الرفض وإرسال جيوشه إلي حدود الحرب والجبل الأسود مما أدى إلى إعلان الحرب عليها في 30 جوان من طرف الصرب و في 20 جويلية من طرف الجبل الأسود⁸⁰.

وكانت نتيجة الحرب انتصار للعثمانيين بقيادة عثمان باشا علي الحرب حيث أصبح مقربة من العاصمة بلغراد وقد دفعت هذه الهزيمة إلي طلب الدولة الأوروبية التدخل لدى الباب العالي لوقف إطلاق النار وعقد الهدنة بين الطرفين.

كانت هذه الهدنة تحتوى علي الكثير من المطالب، إلا أنه في الأخير لم يقلل إي طرف وانفض الأمر من دون إن ينالوا شيا مما أدى إلي قطع علاقاتهم بالدولة العثمانية إذا راحت كل دولة تتصرف وفقا لمصالحها⁸¹.

مؤتمر برلين : 1295 هـ - 1878 م.

إن انعقاد مؤتمر برلين يعتبر اعتراف الدول الأوروبية بتفوق النفوذ الألماني⁸²، خصوصا بعد الهزيمة التي ألحقها بفرنسا، فكانت فرصة سامحة لبسمارك لكي يقوم بدور السمسار الشريف الذي كان يريد إن يصل بالقضية إلي نتيجة مرضية لجميع الأطراف⁸³. فبذلك يكون قد قام بدور المنفذ العالمي، فلقد رأي إن الغاية من المؤتمر هو الوصول إلي حل لمشكلات أوروبا علي حساب الدولة العثمانية من دون إراقة لدماء الأوروبيين⁸⁴. لأنه في نظرة إن الدولة العثمانية غير جديرة بتناحر أوروبا عليها⁸⁵.

ومن جهة أخرى دعا بسمارك رسميا في 12 جمادي الثانية هـ / 3 جوان 1878 م مندوبي الدول الأوروبية للاجتماع في برلين كما سمح بوجود كل من اليونان والصرب ورومانيا والجبل الأسود والأرمن واليهود لحضور المؤتمر كمراقبين علي إن يحضروا بعض جلساته دون أن يشتركوا في مناقشاته⁸⁶. كما شاركت فيه سبع دول كبرى هي الدولة العثمانية بريطانيا فرنسا روسيا ألمانيا إيطاليا والنمسا، وقد مثل الدول العثمانية كل من قره فودري باشا والمشير محمد علي باشا وسعد الله بيك الألي مع العلم انه لم يكن لهم إي نفوذ أو احترام حيث كان بسمارك يسي معاملتهم ولقد دامت إشغال هذا المؤتمر حوالي 102 أسابيع عقدت من خلاله 20 جلسه مع العلم انه أثرت فيه مناقشات عنيفة خلال الجلسات⁸⁷ بالرغم من إن كثيرا من المسائل قد سويت قبل عقد مؤتمر فهو لم يكن اجتماعا لإعادة النظر في معاهدة سان ستيفانو بقدر ما كان الموافقة علي الاتفاقيات التي تمت بين روسيا والنمسا من جهة وبين روسيا وبريطانيا من جهة أخرى⁸⁸.

وعليه عقدت الجلسة الأولى للمؤتمر في 22 جمادي الثانية 1295 هـ / 13 جوان 1878 التي نصت علي 64 مادة فكانت أهم قراراته :

1_ إن تصبح بلغاريا ولاية لها استقلالها الداخلي عاصمتها صوفيا وتدفع الجزية وتدين بالولاء للسلطان العثماني وتكون لها حكومة مسيحية وقوة قومية .

2_ توضع البوسنة والهرسك تحت الإدارة النمساوية

3_ فصل ولاية الرومي الشرقية عن بلغاريا الكبرى وضعها تحت الحكم العثماني المباشر وبالتالي تقلص بلغاريا

4_ اعتراف الباب العالي والدول الأوروبية بالاستقلال التام للجبل الأسود

5_ تنازل الباب العالي لروسيا في آسيا عن اردهان وقارص وبازوم.

6_ إعادة مقدونيا وساحلها الجنوبي إلى الدولة العثمانية .

7_ الإبقاء علي الغرامة الحربية التي أقرتها معاهدة سان ستيفانو علي الدولة العثمانية مقدارها حوالي 800 مليون فرنك.

8_ إعلان الباب العالي عن رغبته في منح حرية الاعتقاد الديني ولا يجب إن يقف الاعتقاد الديني في حماية رعاياهم.

9_ احترام شروط معاهدة باريس بشأن المضائق وحرية الملاحة في نهر البحر الأسود .⁸⁹

_ نتائج مؤتمر برلين 1229 هـ / 1878 م:

من خلال بنود معاهدة برلين نجد انه كانت لها انعكاسات علي الدول الأوروبية والدولة العثمانية بحيث إننا نجدها تختلف من دولة إلى أخرى سواء بالإيجاب أو بالسلب فمثلا

روسيا لم تقتنع بنتائج المؤتمر رغم أنها حصلت علي بعض الأجزاء الأسيوية للدولة العثمانية كما فرضت عليها غرامة مالية كبير وأحلت نفوذها في بلغاريا لكن في المقابل وضعت المعاهدة ضد اطماع روسيا في تقدمها نحو العرب ووجهتها بطريق غير مباشر إلى توسع في آسيا⁹⁰ . معنى ذلك إن بريطانيا وفرنسا قد نجحتا في الوقوف في وجه إطماع روسيا لكن الأهم من كل هذا إن مشروع الجامعة السلافية التي عملت روسيا علي تنميتها بعد حرب القرم والتي وصلت ذروتها في معاهدة سان ستيفانو أجهضت خلال مؤتمر الذي قام برسم خريطة البلقان الجديدة⁹¹ .

_ فكانت صدمة قاسية لمطامع القيصر الروسي ، ففي حقيقة الأمر إن المعاهدة كانت تهدف في مجموعها إلى كسر اندفاع الوحدة السلافية لدى الروس⁹² .

أما النمسا : فقد تحصلت علي غنيمة كبيرة ، في غرب البلقان لكن أوضاع في البلقان بقيت مضطربة حتى إن البوسنة والهرسك سوف تكون هي الفشل الذي بسببه سوف تندلع الحرب العالمية الأولى 1914_ 1918

م⁹³ .

أما بريطانيا : جرت منتصرة علي جميع الأصعدة إذ أنها نجحت في توقيف مطامع روسيا التي كانت تهدد مصالحها ، حيث نجحت في احتلال قبرص باعتبارها مواجهة للسواحل الشمالية المصرية ونقطة مراقبة هامة ، استطاعت من خلال الهيمنة علي مصر ومنع إي دولة أوروبية من الاقتراب⁹⁴ .

أما الدولة العثمانية : فقد كانت الخاسر الأكبر حيث كشفت قرارات مؤتمر برلين عن مدى ضعف الدولة لأنها فقدت معظم أمالكها في أوروبا بخسارتها لحوالي 210 ألف كلم مربع وحوالي 55 مليون نسمة هذا منتج عنه خسائر مالية لأنها كانت كلها تقريبا تدفع الحرية للدولة العثمانية . كما أنها خرجت مدانة بمبلغ كبير لروسيا يقدر بـ 800 مليون فرنك ، حيث اكتشفت ان بريطانيا وفرنسا قد تحولتا من شريكين لها إلى أعداء من الناحية الدبلوماسية فقدت هيمنتها وهيبتها علي الصعيد الدولي والكل بات يطمع فيها⁹⁵ . لكن من الرغم من ذلك معاهدة برلين مددت من عمر الدولة العثمانية لمدة 35 سنة

أما ألمانيا : فقد برزت أمام الدول الأوروبية الكبرى دولة محايدة عن الإطماع كان كل همها هو إصلاح دول أوروبا وتحقيق السلام المنشود⁹⁶ .

ومن هنا يمكن القول : أن مؤتمر برلين 1295 هـ 1878 م النقطة التي نهت حول كيفية القضاء علي الدولة العثمانية والي ضرورة التعجيل بتقسيم ممتلكاتها وأول من تبني هذا المبدأ بريطانيا التي عملت هي والدول الأوروبية في إطار المنافسة علي انتهاج سياسة جديدة تخول لها السيطرة علي أراضي الدولة العثمانية تحت عطاء الحماية والانتداب .

الهوامش:

- 1- مصطفى كامل ، المسألة الشرقية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، 2012 م ، ص 9.
- 2- محمد محمود السروجي ، مصر و المسألة الشرقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، دط، جامعة الإسكندرية، مطبعة المصري مرجع سابق، ص 9.
- 3- احمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث ، ص 28.
- 4- محمد محمود السروجي ، مرجع سابق ، ص 11.
- 5- إسماعيل احمد باغي ، مرجع سابق ، ص 143.
- 6- محمد محمود صالح ، تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، دط، دم، دت، ص 196.
- 7- إسماعيل احمد ياغي ، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر ، ط 3، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، 1993 م المرجع السابق ، ص 143 _ 144.
- 8- محمد سعيد العثماني، تاريخ المصريين (مصر والحملات الفرنسية)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة 1999 م ، ص 45.

- 9- عبد العزيز نوار، الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون . الفرس، بيروت، دار النهضة العربية، 1396هـ-1972م ، ص 79.
- 10- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر (1516-1922م)، دار النهضة العربية، بيروت، ص 220_ 221.
- 11- نفسه، ص 222.
- 12- إسماعيل أحمد ياغي ، مرجع سابق ، ص 5.
- 13- أبو الفضل محمد عبد الفتاح، الصحوة المصرية في عهدة محمد علي، دط، القاهرة، 1998، ص 201.
- 14- محمد سعيد العشماوي، مرجع سابق ، ص 58.
- 15- نفسه، ص 59.
- 16- علي عبد المنعم شعيب ، الصراع الايطالي الفرنسي علي بلاد الشام (1941 _ 1960م)، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان 2002م، ص 77.
- 17- آمال السبكي ، أوربا في القرن التاسع عشر (فرنسا في مئة عام)، ط1، عالم المعرفة، جدة 1405هـ-1980م، ص 82.
- 18- محمود شاكر ، مرجع سابق ، ص 166.
- 19- أحمد عبد الرحيم مصطفى، في اصول التاريخ العثماني، ط2، القاهرة 1993م ، ص 188.
- 20- أحمد ياغي ، مرجع سابق ، ص 130.
- 21- نفسه، ص 280_ 275.
- 22- نفس المرجع، ص 204.
- 23- مصطفى كامل ، مرجع سابق ، ص 40.
- 24- نفس المرجع ، ص 42.
- 25- هدى علي بلال، الصراع العثماني المصري علي بلاد الشام والوقف الدولي من 1830_ 1841، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية 59، المجلد 10، العدد 4، جامعة الموصل 2011، ص 355.
- 26- محمد فريد بك المحامي، التيارات السياسية في حوض البحر الابيض المتوسط، ملتزمة الطبع والنشر لجنة البيان العربي، مصر 1949م. ص 491.
- 27- اسماعيل أحمد ياغي ، المرجع السابق ، ص 326.
- 28- مصطفى كامل ، المصدر السابق ، ص 75.
- 29- اسماعيل أحمد ياغي ، المرجع سابق ، ص 35.
- 30- مصطفى كامل ، المصدر سابق ، ص 76.
- 31- نابليون الثالث :هو ابن لويس بونابرت اخ نابليون الأولنفي هو واسرته من فرنسا من فرنسا سنة 1815موعند قيام ثورة 1848م عاد الى فرنسا مجددا وانتخب عضوا في الجمعية الوطنية بعدها انتخب رئيسا للجمهورية الثانية1848- 1852م اتسم حكمه بالديكتاتورية بينما كان يتظاهر بالدفاع عن الديمقراطية وتوج نفسه إمبراطور على فرنسا سنة 1852م. انظر:علي المولا، المرجع السابق، ج7، ص 3340.
- 32- محمد فريد بك المحامي ،المصدر السابق، ص 492.
- 33- محمد فريد بك المحامي ،نفسه، ص 493.

- 34- الملكة فكتوريا : ولدت سنة 1819 وتولت سنة 1937 تزوجت بالبرنس ألبرت احد امراء المانيا وتوفيت سنة 1901.
- 35- نفسه، ص 494.
- 36- محمد محمود السروجي ، مرجع سابق ، ص 19.
- 37- محمد محمود السروجي ، مرجع سابق ، ص 20.
- 38- محمود شاكر، المرجع السابق، ص 176.
- 39- محمد محمود السروجي، مرجع السابق، ص 21.
- 40- مصطفى كامل، مرجع سابق، ص 92.
- 41- محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 152.
- 42- مصطفى كامل، المصدر السابق، ص 87.
- 43- اسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، دار الفكر الحديث، بيروت 1988م المرجع سابق، ص 326.
- 44- عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دول إسلامية مفترى عليها، ج 2، القاهرة، د ت المصدر السابق ص 228.
- 45- نفسه، ص 229.
- 46- محمد محمود السروجي، مرجع سابق، ص 24.
- 47- نفسه، ص 25.
- 48- إسماعيل سرهنك، المرجع السابق، ص 326.
- 49- عبد الرؤوف سنو، العلاقات الروسية العثمانية (1687هـ/1878م) سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة، ح 1، مجلة تاريخ العرب والعالم، ع 73-74، بيروت 1984م. المرجع السابق، ح 2، ص 26.
- 50- سهيل محمد طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط 3، دار النفوس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2013. المرجع السابق، ص 379.
- 51- فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 493_494.
- 52- صفوت مصطفى محمد، محاضرات في المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، دط، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة 1958، ص 30.
- 53- روبير مانتان، تاريخ الدولة العثمانية، تر بشير السباعي، ط 1، ج 2، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 1993م، ص 5.
- 54- عبد الرؤوف سنو، المرجع السابق، ح 2، ص 26.
- 55- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 381.
- 56- كارل بركلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر نبيه أمين فارس، ط 6، دار العلم للطلابيين، بيروت 1974م، ص 569.
- 57- مصطفى كامل، المصدر السابق، ص 72.
- 58- عبد الرؤوف سنو، مرجع السابق، ح 2، ص 26_27.
- 59- نفسه، ص 28.
- 60- محمد سهيل طقوش، مرجع السابق، ص 386.

- 61- هيربرت فيشر، تاريخ أوروبا في العصور الحديثة (1789-1950م، تراجم نجيب وغيره، ط 4، دار المعارف، مصر 1964، ص 219.
- 62- كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص 567.
- 63- فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 49.
- 64- روبير مانتران، مرجع السابق، ص 132.
- 65- نادية محمود مصطفى، العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة، ط 1، المعهد العلمي الفكر الإسلامي، القاهرة 1990م، ص 178.
- 66- احمد عبد الله الجبري، مشاريع تقسيم الدولة العثمانية وموقف منه 1844-1856م، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مج 7، ع 3، التربية العراق 2012، ص 5.
- 67- مصطفى كامل، المصدر السابق، ص 77.
- 68- الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916م، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 153-154.
- 69- الغالي غربي، نفسه، ص 154.
- 70- محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص 502.
- 71- هاشم صالح الكثولوكي، الصراع بين الكبرى في البلقان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، دط، 2008م، ص 2.
- 72- هيربرت فيشر، المرجع السابق، ص 360-361.
- 73- الجامعة السلافية: هي نظرية أو حركة تستهدف إلى انصهار العلاقة السياسية والثقافية بين جميع الدول السلافية، تبنيتها روسيا في منتصف القرن حينما بلغت القومية أوج نشاطها وقوتها إلا أنها بقيت منحصرة في الأقطار السلافية انظر: علي المولا، المرجع السابق، ص 11.
- 74- هيربرت فيشر، المرجع السابق، ص 361.
- 75- فرانس جوزيف: Francis Josef (1830-1916م)، امبراطور النمسا خلال الحكم في اعقاب ثورات عام 1884م، بالإضافة إلى كونه امبراطور النمسا أصبح ملكاً على المجر خلال المدة ما بين 1867-1916م، لم يكن واثقاً بحكومات الأحزاب إذ كان يميل نحو قيام حكومة بيروقراطية تقودها سلالة حاكمة كريمة تعمل من أجل المنفعة العامة حكم بلاده حكماً مطلقاً. انظر: حيدر صبري شاعر الخيفاني وآخرون، نتائج الحرب الروسية العثمانية 1877-1878م، مجلة جامعة كربلاء العلمية، مج 3، ع 3، جامعة كربلاء، 2015، مرجع سابق، ص 75.
- 76- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 44.
- 77- السلطان عبد العزيز 1876-1830: حاكم الدولة العثمانية تولى الحكم بعد وفاة أخيه عبد المجيد الأول قام بإصلاحات تحت إشراف وزير فؤاد باشا وعلي باشا شهد عهده حدوث اضطرابات في البلقان انظر: عبد الوهاب الكبالي واخزون المرجع السابق، ص 838.
- 78- عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص 201.
- 79- فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 603.
- 80- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 424.

-
- 81- نفسه ، ص 428.
- 82- عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق، ص 207.
- 83- نوار الدين حاطوم ، تاريخ القرن التاسع في أوروبا والعالم ، ط 1 ، ج 2 ، دار الفكر المعاصر ، بيروت 1995 ، ص 334.
- 84- مصطفى كامل ، المصدر السابق ، ص 115.
- 85- ياسر عبد العزيز قاري ، دور الامتيازات في سقوط الدولة العثمانية ، دراسة تحليلية ، رسالة دكتوراء في تاريخ الحديث ، ج 2 ، جامعة ام القرى ، الرياض 2000 م ، ص 569.
- 86- عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دول إسلامية مفتوى عليها ، ج 2 ، القاهرة ، د ت . المصدر السابق ، ص 566.
- 87- كارل بروكلمان ، مرجع السابق ، ص 569.
- 88- عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص 207.
- 89- محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق ، ص 679.
- 90- عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص 208.
- 91- عبد الرؤوف سنو ، المرجع السابق ، ص 20.
- 92- روبير مانتيران ، المرجع السابق ، ص 158.
- 93- عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص 250.
- 94- نفسه ، ص 250.
- 95- روبير مانتيران ، المرجع السابق ، ص 161.
- 96- عمر عبد العزيز عمر ، المرجع السابق ، ص 205.